نظرة في مقالة

الألفاظ السريانية في المعاجيم[1] العربية

أحسن غبطة البطريرك أغناطيوس أفرام الأول بنشره «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية» الى جميع المشتغلين باللغتين، فانه أعلم من يؤخذ عنه هذا العلم، ولا أودّ أن أحمل بعض الغلوّ الذي يظهر أحياناً في أثناء المقالة إلا على الاجتهاد والاعتقاد، وقد خطر لي من هذه المقالة النفيسة ما أنا ذاكره فيما يلي هذا السطر:

١ — ذكر حفظه الله — في ص ١٦٩ من المجلد الثالث والعشرين أن «الأبّ» بتشديد الباء هو الثمرة الفاكهة في السريانية ثم تصرف في القول ونقل النصوص اللغوية العربية، وفاته أعظم نصّ عربيّ يؤيد المعنى السرياني وهو قول الفيومي في المصباح المنير: «الأب المرعى الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الدواب ويقال الفاكهة للناس والأب للدواب وقال ابن فارس: قالوا أبَّ الرجل يؤبُّ أبّاً وأبابًا وأبابة، بالفتح اذا تهيأ للذهاب، ومن هنا قيل الثمرة الرطبة هي الفاكهة واليابس منها الأبّ لأنه يعد زاداً للشتاء والسفر فجعل أصل الأب الاستعداد».

---

(١) ذكرت في غير هذا الموضع ان جمع المعجم المكسّر هو «المعاجيم» على المفاعيل لا «المعاجم» على المفاعِل، وذلك على وفق السماع والقياس، اما السماع فما ورد في كلام الأئمة وان كان متأخر الزمان، كما ورد في الاعلان بالتوبيخ «ص ٩٣» وما ورد منه على «المعاجم» انما هو لساهل وترخص، واما القياس فلأن ذلك مذكور في كتب الصرف، قال الرضي الاسترابادي في شرح الشافية «ج٢ص١٨١» من الطبعة الأخيرة «وقالوا ايضاً في مُفعِل المذكر كمؤسر ومُفطِر وفي مُفعَل كمنكر ومياسير ومفاطير ومناكير وانما اوجبوا الياء فيهما مع ضعفها في نحو معالِيم جمع مُعلِم ليتبين ان تكسيرها خلاف الأصل والقياس التصحيح». قلت: وعندي انهم فعلوا ذلك خوف التباس هذا الجمع بجمع «مفعل» بفتح الميم وكسرها، ولذلك قالوا «المسانيد والمصاعب» وغيرها.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — وقال في ص ١٧٣ « ويقال فيها الايجانة والانجانة واللغة الأخيرة دارجة عند العراق للإناء تغسل فيه الثياب ولا يكون الا من حجر » . قلت : لعلّ ذلك من استعمال أهل الجزيرة كالموصل وغيرها ، أما أهل بغداد ، وهي سرّة العراق وما حولها ، فهي عندهم للاناء الذي يُعجن فيه فاذا خبز العجين وضع الخبز على طبق وغطي بالانجانة وتتخذ من النحاس أي الصفر .

٣ — وجاء في ص ١٧٦ « وقال ثعلب : ازدهر بها أي احتملها قال وهي كلمة سريانية » . قلت : أما أن « ازدهر » سريانية فنعم إذا كانت بمعنى « احتفظ » ويقاربها في العربية « ادّخر » وأما « ازْدهر » التي ذكرها ثعلب فقد تصحفت عليه إن كانت الرواية صحيحة عنه ، وانما الأصل « ازدفر » لا ازدهر ، فذلك بمعنى « احتمل » وفي الصحاح للجوهري أن الزِفر كالحمل وزناً ومعنى وأنه القربة أيضاً وأنه يقال « زفر الحمل يزفره زفراً أي حمله وازدفره أيضاً » . وقال المبرد في الكامل ج ١ ص ٤٢ « ويقال : أتى حمله فازدفره أي حمله » .

٤ — وجاء في ص ٣٣٠ « ومعناها المجمع الحافل أو المحفَل البهج » بفتح الفاء من المحفل والصواب كسرها ، قياساً وسماعاً : وفي القاموس « المحفِل كمجلس المجتمع » وذلك لأن مضارعه « يحفِل » بكسر الفاء ، بلهَ أن العرب تميل الى الكسر فيما بابه الفتح كالمسجِد والمنبِت والمنسِك والمرفِق والمشرِق والمغرِب والمطلِع والمسقِط والمجزِر والمفرِق والمسكِن .

٥ — وجاء في ص ٣٣٤ « وصاغ العرب منها استكّ » قلت : لعل الأصل « استتكّ » بتاءين أي اتخذ تكّة ، أما استكّ فمصدره الاستكاك وهو من السكّ .

٦ — وجاء فيها منقولاً من « جامع البيان للطبرسي » ج ١ ص ١٠ « لا تنازعُوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الردّ » قال النشاشبي — رحمه الله — « وان صحّ شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه رواية في القرن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثالث بلغة وقته » . قلت : كان الطبرسي من أهل القرن السادس لا الثالث وتوفي سنة « ٥٤٨ » على بعض الأقوال ، ونقل الحديث على تلك الصورة ظلمات في ظلمات ، قال في الصحاح « وفي الحديث ، في ذكر القرآن ، لا يتفه ولا يتشانّ » كذا ورد في « تفه » من صحاح الجوهري ، وفي نهاية المبارك بن الأثير « ومنه حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - يصف القرآن لا يتفه ولا يتشانّ . هو من الشيء التافه الحقير ، يقال : تفه يتفَهُ فهو تافِه » . وقال محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي في مختار الصحاح « قلت : لا يتفه أي لا يصير حقيراً » ولا يتشانّ أي لا يخلق على كثرة الردّ ، من قولهم تشانّت القربة أي أخلقت وصارت شنّاً » .

ومما قدمنا يُعلم أنّ « تلاشى » لم ترد في كلام ابن مسعود وأن الفعل المصحف هو « يتشان » ويعلمُ أيضاً أن أصل الحديث على رواية الطبرسي « لا تنازعُوا في القرآن فانه لا يخلق ولا يتشان ولا يتفه لكثرة الرد » . وهي من روايات الادماج أي نقل الحديث وتفسيره معاً .

٧ — وتكلم في ص ٤٨٨ على « الحواري والحواريين » وخلص الى أن اللفظة حبشية الأصل ومعناها الرسول ، والى أن نولدكي هو القائل بهذا وتابعه على رأيه كل من بحث بعده عن أصلها ، واستثنى في الحاشية الأب أنستاس الكرملي وفيَّل رأيه وضعَّفه (كذا) لأنه أجاز أن يكون « الحواري » لغة في « الحوالي » . مع أن الأب أنستاس لم يجتب هذا القول وانما قال « على أن هناك رأياً هو أن الحواري لغة في الحوالي نسبة الى الحوالة ... فاختر أنت أحد الرأيين [رأي نولدكي ورأي الحوالة] ان لم تقبل أحد آراء الاقدمين المتعددة الواردة في دواوين اللغة على اختلاف حجومها[1] » ! ثم إنه أشبع الكلام وفصله تفصيلاً

(١) لغة العرب « ٩ : ٦٦٤ »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا مزيد عليه في كتابه « نشوء اللغة العربية ...[1] » وأثبت ان الحبشية اقتبست اللفظة هذه من العربية وأن لودلف Lodolf الألماني أول من عدّها حبشية في آخر القرن السابع عشر للميلاد . ومعنى ذلك أنه استقر رأيه على معنى واحد للحواري هو الرسول .

٨ — وذكر في ص ٤٩٦ ما يفيد أن « الدسكرة » سريانية الاصل ، والظاهر لنا أنها تعريب « دستجرد » من الفارسية ، فان من البلدانيين والمؤرخين من ذكر أن « دسكرة الملك » في شرقي العراق الأوسط بطريق خراسان كان اسمها « دستجرد »[2] ، يؤيد ذلك أن الدسكرة متعددة والدستجرد أكثر منها تعدداً ولم تعرف الا في بلاد الفرس ، والبلاد التي فتحوها أو غزوها ، ولا شك في أن التعدد يدل على أن الاسم اسم جنس ، قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع « الدسكرة ... قرية كبيرة بنواحي نهر ملك كمدينة صغيرة على ضفة نهر الملك والدسكرة قرية من عمل طريق خراسان بقرب شهرابان تسمى دسكرة الملك لأن هرمز بن أردشير بن بابكان كان يكثر المقام بها فنسبت الى الملك بذلك وبها آثار للفرس ، والدسكرة قرية مقابل جنبلا ومنها كان أبو الوزير ابن الزيات والدسكرة أيضاً قرية بخوزستان » . وقال في دستجرد « دستجرد ... عدة قرى في مواضع شتى منها بمرو قريتان وبطوس قريتان ويبلخ دستجرد قريتان ... وقبل باصفهان عدة قرى تسمى كل واحدة دستجرد وقرب نهاوند قرية تعرف بدستجرد ودستجرد مدينة بالصغانيان » .

ثم ان الجزء الأول والجزء الثاني من الاسم المركب أشبه بالفارسية منها

---

(١) نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها « ص ١٤٥ — ١٥٥) .

(٢) يراجع كتاب The Lands of the Eastern Caliphate, by G. Le Strange. ص ٦٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بغيرها « دست – جرد » ومثله « برو – جرد » . وجرد اسم بلد بنواحي بيهق من بلاد العجم . فالسريان والعرب استعاروا « الدسكرة » من الفرس .

٩ — وجاء في ص ٥٥٥ منقولاً من التكملة للصاغاني أن ابا العباس سئل عن « الرحمن » و « الرحيم » لِمَ جمع بينهما فقال لأنَّ الرحمان سرياني والرحيم عربي ، وذكر العلامة أغناطيوس أن اللفظة كانت مستعملة في اللغة البابلية Rimênu ، قلتُ : نحن لا نأخذ بقول أبي العباس ، لأن « فعلان » من الأوزان العربية ولأن فعل من باب « فرح » فهو مستوف لشروط الوصف على « فعلان » والألف والنون عندنا للنسبة فكأنه قال « ذو الرحمة » ، والجمع بينهما جمع بين معنيين ، « فالرحمان » معناه المملوء رحمة والرحيم معناه الموصل رحمته الى عباده ، فالرحمان صفة من الفعل حين كان لازماً معنىً ولفظاً ، والرحيم صفة منه حين تعدّى لفظاً لا معنىً ، وذلك لأنَّ « باب فَرِح » أحدث من غيره من أوزان الفعل الثلاثي ما عدا باب « سهُل » فانه يقاربه في الحدوث ، فهو اذن وزن مُحدث للزوم وحصر الفعل في نفس فاعله ، وهذا الاستعمال من حيث القواعد العامة مثل « جائع وجوعان ووالِه ووَلهان ووسِن ووسنان ولهيف ولهفان » وما يطول تعدادُه . والعرب تؤكد الصفات بأمثالها أو ما يقرب منها مثل « فلان جاد مجدّ » .

أما كونها – أعني الرحمان – كانت مستعملة في اللغة البابلية ، فلا ينفي كونها عربية لأن اللغتين ساميتان ، من أصل واحد ، ولفظ « Rimênu » أجدرُ بأن يؤخذ من « رئم » أو يقابل به ، قال الجوهري « رئمت الناقة ولدها رئماناً إذا أحبته ... وكل من أحبَّ شيئاً فقد رئمه أيضاً » . نقول هذا وان كنا نذهب الى أن « الحاء » في العربية ناشئة عن الهمزة وأنَّ « رحم » يجب أن يكون أصله « رئم » على وفق القاعدة ، فالرحمان عربية في الخصوص والعموم ، واستعارات اللغات بعضها من بعض تكون في الأسماء وتندر في الصفات المستقرَّة في الفاعل حقيقة لا اصطلاحاً كالرحمان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠ — وذكر في ص ٧ كلمة « زنيم » للمعروف بلؤمه وأنه لا فعل له في العربية فاسترجح أنه حرف سرياني ، Zlimo ومعناه الأعوج المنحرف ، قلت : إن أصل الزنيم هو « الزليم » وجاء في اللغة « زلمه زلماً أي قطعه ، واتخذ العرب من هذا الحرف ذماً للانسان ، قالوا « هو العبد زلمة » وهذا القول مثل يضرب للئيم قالوا « ومعناه أنه زلم تزليم العبيد أي قُدَّ قدّهم فاذا نظر اليه المتفرس عرف لؤمه » . وفي الصحاح أن من معاني المزلّم « السيء الغذاء » فقيل الزّليم والمزلّم وارد في العربية والوصف نفسه أدل على الذمّ من وصف السريانية ، ثم إنه لا يجوز في العربية أن يكون وصف على « فِعيل [1] » وليس له فعل ، لأنّ وزنه حديث بالنسبة الى الصفات الأخرى كالفاعل والفيعل والفوعل والفعّل .

١١ — وجاء في حاشية ص ١٠ من المجلد الرابع والعشرين أن « انسحق القلب أي انكسر وتذلل » من العبارات النصرانية كما في أقرب الموارد فذكر العلامة أغناطيوس أن « انسحق » لفظة معربة من السريانية التي تؤديها لفظاً Eshthèqe (كذا) وفي هذا القول إغراب ، أما أنّ « انسحق » نصرانية فنعم ولكنها جارية على قياس العربية العام ، فنصارى العرب اشتقوها من لغتهم العربية ، وانسحاق القلب حالة متكرّرة الحدوث عند أهل الديانة وغيرهم ، وأهل بغداد يقولون « اتمرد قلبي » من المرد اي العَصْر واللبك واللتّ في اللغة العامية .

١٢ — وتكلم في ص ١١ على « السُرادق » وذكر أنها سريانية وليست معربة من الفارسية ، وفي هذا القول تحكُّم لا يقرُّه أسلوب البحث ، فالسّرادق معروف في الفارسية ، ومركب الكلمة من المركبات الفارسية فكيف يجوز أن نعدّه سريانياً ؟ ألكونه وُجد في السريانية ؟ لا يصح ذلك إلا اذا وُجد أصله فيها

---

(١) ورد « فعيل » لثلاثة معان مفاعل وفاعل ومفعول واقدمهن « المفاعل » ويليه « المفعول » كالزنيم ، ويتلوه الفاعل كالكاتب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأثبت لها استعماله قبل الفارسية [1] ، وذلك يحتاج إلى دراسة طويلة في الآثار والمأثور والمعجمات .

١٣ — وجاء في ص ١٣ « وكلا المصنفان المخطوطان مصونان في خزائننا » . أراد « كلا المصنفين المخطوطين » .

١٤ — وذكر في ص ٢٠ أن « السَّوط » سريانية ، قلت : إنه ليصعب الوثوق بهذا القول ، فان السَّوط قديم الوجود في العربية ، وهو بسيرة العرب أشبه ولمعيشتهم ألزم لاستعمال فرسانهم له على الضدّ من السريان فانهم لم يشتهروا بالفروسية ، وفي القرآن الكريم « سوط عذاب » ثم ان السَّوط ليس من الألفاظ الدالة على نيقةٍ في التمدُّن حتى يقال ان العرب سُبقوا الى استعماله ، وتقدَّمهم السريان اليه . قال المبرد في الكامل ج ٣ ص ١٠٥ « فانه تسمى هذه السياط التي يعاقب بها السلطان الأصبحية وتنسب الى ذي اصبح الحميري وكان ملكاً من ملوك حمير وهو أول من اتخذها ، وهو جدُّ مالك بن أنس » .

١٥ — وذكر في ج ٢ ص ١٦٤ « السُرْعُوف » و « السُرعاف » وقال : وفي السريانية Sarèfto و Souroofo والفعل « Sarèef نبت ، تفرع » . والظاهر لنا أن الكلمة الأولى « سارفتو » وفعلها « ساريف » يقابلها في العربية « الشِرياف » قال الجوهري « والشرياف : ورق الزرع إذا طال وكثر حتى يُخاف فساده فيقطع ، يقال شريفْت الزرع اذا قطعت شريافه » . وورد « الشرناف » بمعنى « الشرياف » وشرنَفَهُ بمعنى شريفه وأظنه من التصحيف الذي اختلط بالصحيح . وقد استعمل العرب « شريفَهُ » على طريقة السلب مثل

(١) لا ريب في ان العرب اخذوا من الفاظ التمدن والفنون والجندية من الفارسية اكثر مما اخذوه من السريانية ، وانما اخذوا من السريانية الفاظ الثقافة العقلية وقسماً من الفاظ الدين والزراعة ، لأن الأنباط كانوا زراعاً بالعراق تابعين للدهاقنة والتنّاء من الفرس ، فللفتهم اثر في الاصطلاحات الزراعية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« قذّاه وقرّده وعلّله وأشفاه وأشكاه ومرّضه » وذلك نادر كالذي في اللغة الفرنسية Plumer أي نتف الريش .

١٦ — وتطرّق في ص ١٧٠ الى « شَوَّشَ » ، ومما يُضاف الى أقواله أن « شَوْش » الأوتار كان من تعابير أرباب الموسيقى بمعنى أرخاها قال أحدهم وهو من أهل القرن الثالث للهجرة « يا ملاحظ شوّش عُودك وهاته » كما في الأغاني ج ١ ص ٢٨١ وفيها « ثم خالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره » . وفي ص ٣٥٤ من الجزء « ثم أخذ عوداً فشوّش أوتاره » . ثم قال : هاتوا عوداً آخر فشوّشه وجعل كل وتر منه في الشدّة واللين على مقدار العود المشوش الأول حتى استوفى » .

١٧ — وذكر في ص ١٧٤ « الصمصام : سيف لا ينثني وورد في السريانية Samsomo , Smomo » . والذي أرى أن الاسم السرياني الاول يُقابل « المصمّم » خلوّه من الصاد ، قال الزمخشري في أساس البلاغة ، وسيف مصمّم : ماض في الضريبة » . ويقارب السريانية قول العرب « رجل صَمَم أي ماض في الأمور » .

١٨ — وجاء في حاشية ص ١٧٦ أن « الصّلام شجر صلب وهو بالسريانية وأنه ذكر في دواوين اللغة السريانية كدليل الراغبين ومعجم ابن بهلول ، قال « ولم نعثر عليه في دواوين اللغة » .. قلت : الظاهر لنا أنّ مقابله في العربية « السَلَم » محرّكاً ، قال الجوهري في الصحاح « والسَلَم أيضاً من العضاه الواحدة سلَمَة » .

١٩ — وذكر في ص ١٧٦ أيضاً « الطاغوت » وقال « فاللفظة بصيغتها هذه سريانية الأصل Toòioutho ومعناه ضلال ، غلط ، غش من فعل Too : ضلّ ، طغى ، غلط ، أغوى والدليل وزنه نحو جبروت وملكوت » . قلت : ينبغي أن يقابل « تو » في السريانية « توي » أي هلك ، للمال خاصة ومنه « أتواه اتواءاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي اهلكه » . أما « طاغوت » فوزنه على التحقيق « فاعول » نحو « حانوت » وهو سرياني الصيغة أيضاً الا أنه فنيقي الأصل ، فالطاغوت عند الفنيقيين Taaut هو الكبير الرابع Cabire من آلهتهم ، وهو مخترع علم الفلزات والطب والخط ومؤلف الصحف المقدسة الأولى ، ومستشار الإله الأعظم ، وهو بازاء هرمس اليونان و « طاوث » المصريين [1] ، وكما ورد الطاغوت من كبراء آلهة الفنيقيين ورد « الكبير » الذي هو نعت للآلهة الأربعة حملة العرش في الأصل ، قال تعالى في سورة الأنبياء «قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون» .

وتناول في ص ١٧٧ الطلا والطلو بمعنى ولدا الظبي (كذا) ساعة وُلد ، وذكر أن طاليو Tàlio و Tlé معناهما بالسريانية « طلو وطلا » واسترجح سريانية الكلمة بدلالة وجود فعلها في هذه اللغة وفقدانه في العربية . قلت : جاء في الصحاح « الطّلا : ولد ذوات الظلف » فالتسمية عامة ، ولا شك في أنّ « الطاء » في العربية حرف محدث بالاضافة الى الحروف القديمة فهي تفخيم « التاء » كما أنّ الضاد تفخيم الدال والظاء تفخيم الزاي . فينبغي ان يبحث عن أصل « الطلا والطلو » في « ت ل و » قال الجوهري في الصحاح « تلو الشيء : الذي يتلوه وتلو الناقة ولدها الذي يتلوها » . ومعلوم أن التلو والطلو من أصل واحد ، والفعل « تلا » كما هو ظاهر ورباعيه « أتلى » قال المبرد في الكامل « المتلية التي معها أولادها » . وقال الجوهري : « وأتلت الناقة إذا تلاها ولدها ومنه قولهم : لا دريت ولا أتليت » . وفي أساس البلاغة « وناقة متلية يتلوها ولدها ونُوق متْليات ومتَال .

٢٠ — وصار الى « طوبى » ونقل من أقوال اللغويين من العرب أنّ « طوبى » اسم الجنة بالهندية معرب « توبى » أو بالحبشية ، وعطف على ذلك بأنها سريانية

(1) Chaldée, Assyrie, Médie, Babylonie, Mesopotamie, Phénicie Palmyrène, p, 69, par Ferd Hœfer.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومعناها الغبطة والسعادة والحسنى ، قلت : « إن طُوبى » من الأوزان العربية فهي « فعلى » من « أفعل » الطيب للتفضيل ، كالدنيا والأخرى ، وتركُ تعريفها مع كونها على هذا الوزن يدل على أنها عَلَم من الأعلام التي انتقلت من التعريف الوصفي الى التعريف العلمي ، فالأصل والله أعلم به منا « الجنة الطُوبى » أي طُوبى الجنان ، وسبق العرب الى استعمال « طوبى » استعمالاً دينياً يدل على أنَّ السريان اقتبسوها منهم فاستعملوها استعمالاً لغوياً للغبطة والسعادة والحسنى ، كما نقلناه من قول العلامة البطريرك صاحب المقالة المعجمية الفريدة .

مصطفى جواد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net